العنقاء

انا لستُ بالحسناء اول مولعٍ ... هي مطمعُ الدنيا كما هي مطمعي
فاقصصْ عليَّ اذا عرفتَ حديثها ... واسكنْ اذا حدثتَ عنها واخشع
اهيَ في صورة ؟ اشهدتنيا ... في حالة ؟ ارأيتها في موضع ؟
اني لذو نفسٍ شهيمٍ وانها ... لجميلة فوق الجمال الابدع
ويزيد في شوقي اليها انها ... كالصوت لم يسفر ولم يتقنع
فنشتُ جيبَ الفجر عنها والدجى ... ومددتُ حتى للكواكب اصبعي
فاذا هما متحيران كلاهما ... في عاشقٍ متحيرٍ متضعضع
واذا النجوم لعلها او جهلها ... متبرجات في الفضاء الاوسع
رقصت اشعتها على سطح الدجى ... وعلى رجاء فيَّ غير مشعشع

***

والبحر.. كم ساءلتهُ فتضاحكت ... امواجهُ من صوتيَ المتقطع
فرجعتُ مرتعشَ الخواطر والمنى ... كحمامةٍ محمولةٍ في زعزع
وكأن اشباح الدهور تألبت ... في الشط تضحك كلها من مرجعي

***

ولكم دخلت الى القصور مفتشاً ... عنها، وعجت بدارسات الاربع
ان لاح طيف قلت: يا عين انظري ... او رنَّ صوت قلت: يا أذن اسمعي
فاذا الذي في القصر مثلي حائر ... واذا الذي في القفر مثلي لا يعي

***

قالوا: تورَّعْ . انها محجوبة ... الاَّ عن المتزهد المتورع
فوأدتُ افراحي وطلقت المنى ... ونسختُ آيات الهوى من اضلعي
وحطمتُ اقداحي ولمَّا ارتوي ... وعففتُ عن زادي ولمَّا اشبع
وحسبتني ادنو اليها مسرعاً ... فوجدت اني قد دنوت لمصرعي
ما كان اجهل نصحي واضلني ... لما اطعتهمُ ولم اقنع

اني صرفت عن الطاعة والهوى ... قسري ، ولا ظفرٌ بمن لم يطمع
فكأنني البستانُ جرّد نفسهُ ... من زهره المتنوع المتضوع
ليحسَّ نور الشمس في ذراتهِ ... ويقابل النسمات غير مقنّع
فشى عليهِ من الخريف مرادقٌ ... كالليل خيّم في المكان البلقع
وكأنني العصفورُ عرّى جسمهُ ... من ريشهِ المتناسق المتلمع
ليخفَّ محملهُ : فطارَ الى الثرى ... وسطا عليهِ النمل غير مروَّع

***

وهجمت احسب انها بنت الرؤى ... فتحوتُ اسحرُ بالنيام المهجَّع
ليست حبوراً كلها دنيا الكرى ... كم مؤلم فيها بجانب ممتع
تخفي اماتُ الفتى كهمومهِ ... عنهُ ، وتحجب ذاتهُ في برقع
وربما التبست حوادثُ يومهِ ... بالطابر الماضي وبالمتوقع
يا حبذا شطَط الخيال وانما ... تُمحى مشاهدهُ كأن لم تطبع
لما حملتُ بها حملت بزهرة ... لا تُجتنى ، وبنجمة لم تطلع
ثم انتبهتُ فلم اجد في مخدعي ... الا ضلالي والفراش ومخدعي
من كان يشرب من جداول وهمهِ ... قطع الحياة بغلة لم تنقع

***

ذهب الربيع فلم تكن في الجدول الشادي ، ولا الروض الاغن المرع
واق الشتاء فلم تكن في غيمهِ ... الباكي ، ولا في رعدهِ المتفجع
ولمحتُ وامضة البروق تخلتها ... فيها فلم تلكُ في البروق اللمع
صغرت يدي منها وبي طيش النقى ... واضلني عنها ذكاء الالمعي
حتى اذا نشرَ القنوط ضبابهُ ... فوقي فتيهني وغيّب موضعي
ولقطعت امراس آمالي بها ... وهي التي من قبل لم تتقطع
عصر الاسى روحي فسالت ادمعاً ... فلمحتها ولمستها في ادمعي
وعلمت حين العلم لا يجدي الفتى ... ان التي ضيّعتها كانت معي !!

نيو يورك ايليا ابو ماضي